سلسلة الأنوار
Collection Lumières
ISSN (2716-7852) ر د م ك
المؤتمر الدولي حول: خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة (مارس 2014)

المرجعيات الغربية للحركة النسوية

الدكتورة: مديحة عتيق
جامعة سوق اهراس(الجزائر) madiha.at@live.fr

الإشكالية:

النسوية هي حركة غربية النشأة تعنى بقضايا المرأة عموما وهي أحد توجهات ما يعرف ب"ما بعد الحداثة " شأنها شأن الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية.تحاول هذه الورقة أن تقف عند المرجعيات الغربية التي ساهمت في نشأة الفمينيزم وإثراء أطروحاتها، وتحديد توجّهاتها، وستركّز الورقة على دور الفلسفة النيتشوية التي كانت قاعدة ما بعد الحداثة، ودور التفكيكية التي روّجت لفكرة اللامركز في نشأة الفمينيزم، كما سنتطرّق إلى علاقة هذه الحركة بالماركسية والنقد الأدبي

ستكون محاور الورقة كما يلي:

النسوية: حدودها ومبادئها

مرجعيات النسوية

المرجعية النيتشوية

-المرجعية الماركسية

-المرجعية التحليل نفسية

-المرجعية النقدية

النسوية حدودها ومبادئها:

تعرّفها **ويكبيديا** بأنّها:" مجموعة مختلفة من النظريات الاجتماعية، والحركات السياسية، والفلسفات الأخلاقية، التي تحركها دوافع متعلقة بقضايا المرأة. يتفق النسويون والنسويات على أن الهدف النهائي هو القضاء على أشكال القهر المتصل بالنوع الجنسي، ليسمح المجتمع للجميع نساءً ورجالً بالنمو والمشاركة

في المجتمع بأمان وحرية. ومعظم النسويين مهتمون بشكل خاص بقضايا عدم المساواة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين النساء والرجال، ويجادل بعضهم بأن مفاهيم النوع الاجتماعي والهوية بحسب الجنس تحددها البنية الاجتماعية. يختلف النسويون حول السبب في انعدام المساواة، وكيفية الوصول إليها، والمدى الذي يجب أن يصل إليه التشكيك في التعريفات المبنية على أساس الجنس والنوع الاجتماعي وانتقادها. لهذا، كأي أيديولوجيا، أو حركة سياسية، أو فلسفة، فليس هناك صيغة عالمية موحدة للنسوية تمثل كل النسويين."[1]

نستشفّ من هذا التعريف جملة من النقاط يمكن أن ندرجها على النحو التالي:

-إنّ النسوية حركة متعدّدة الاتجاهات والمشارب ،فهي في آن واحد سياسية وثقافية وأدبية وفلسفية واجتماعية، وهذا بحسب خلفياتها النظرية أو توجهاتها العمليّة. وستكون لنا وقفة مع هذه المنطلقات النظرية في هذه الصفحات.

-أنّ المشتغلين بالنسوية ليسوا نساء فحسب بل هناك رجال ايضا لذا نحن نتحدّث عن نسويين على غرار ستيوارت مل ودانييل ديفو، مثلما نتحدّث عن نسويّات كجوليا كريستيفا، وكايت ميليت،وإلين شوولتر وغيرهنّ.

-إنّ أبسط مطالب النسوية هي الدعوة إلى تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعقليا، وكانت الدعوة إلى المساواة هي مطالب النسويين والنسويات الأوائل ضمن ما يسمّى الموجة الأولى للنسوية، وعلى رأس تلك المطالب حق التعليم الجامعي،وحق التصويت،وحقّ المساواة في الأجر، في حين امتدّت اهتمامات النسوية في موجتها الثانية إلى تحليل والوقوف على أسباب قمع النساء واضطهادهنّ وتحقيرهنّ على مدى التاريخ من قبل السلطة الذكورية.

لذا كان اوّل ما قامت به النسويات بحثا عن اسباب القمع هو مراجعة التاريخ للوقوف على مظاهر وأسباب القمع،وكانت الصدمة كبيرة حين وجدن أنّ معظم الفلاسفة والمفكّرين يتفقون على النظر إلى المرأة كائنا دونيا، فأفلاطون صنّفها في مرتبة حقيرة مع العبيد والأشرار والمرضى، وأرسطو رآها كائنا عاجزا عن الفعل الفلسفي بسبب قصور ملكاته العقلية، أمّا ديكارت فحين وضع ثنائية العقل والمادّة جعل الخيرة لصيقة بالمرأة وأمّا فرويد فأرجع كلّ مشاكل المرأة وضعفها إلى معاناتها من عقدة نقصها العضو الذكري، و لا ننسى طبعا الموقف الديني (المسيحي واليهودي) الذي حمّل المرأة وزر الخطيئة الأولى، فنعتها بالغاوية، وصديقة الشيطان.

[1] النسوية ، موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.com

وأمام هذا التراث السلبي عملت النسويّة على وضع برامجها وأولوياتها ووجهات نظرها مغتنمة من نظريات وفلسفات متعدّدة نحاول ان نرتّبها كما يلي:

المرجعية النيتشوية:

من الحقائق المسلّم بها في تاريخ الفلاسفة أنّ نيتشه من ألدّ أعداء المرأة إذ تفنّن في تحقيرها واستصغار شأنها، ولعلّ أبرز المقولات النيتشوية في هذا الأمر قوله "إذا ذهبت على النساء فلا تنس السوط" أو "المرأة لغز، وليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد وهو (الحَبَل)" و"الحقيقة امرأة" وهي أكثر عباراته غموضا لأنّها حمّاله أوجه وتأويلات تصل حدّ التناقض. وأمام هذه الرؤية السلبية يكون السؤال الأساسي هو: كيف ستشكّل "الفلسفة النيتشوية" مرجعا للحركة النسوية؟.

لا يزال الأمر مثيرا للجدل بسبب غموض عبارات نيتشه، ولتعمّده اللا يقين والتلميح في كلّ أطروحاته، وقد رصدت الناقدة عطيّات أبو السعود أهمّ أطروحات نيتشه التي اعتمدتها النسويات لصياغة نظرياتهنّ ،ويمكن أن نجمل تلك الأطروحات في النقاط التالية:

–نقده السلطة الأبوية –الذكورية: تلقى هذه الفكرة صدى طيبا لدى أنصار النسوية، الذين تبنّوا "ما قام به من نقد جينالوجي (أنسابي) للمؤسّسات الأبويّة وقيمها(...) كان نقد نيتشه للحضارة الأوروبية يتضمّن نقده لأنماط من القيم التي كان لها تأثير معيّن، فالقيم المسيحية المطلقة –على سبيل المثال– التي وضعتها السلطة الأبوية (الإله–الرّب) قد استنفذت أغراضها منذ زمن"[2] ويقتطع أنصار النسوية هذه المقولة بعيدا عن سياقها حيث تجاهلوا أنّ نيتشه حين أسقط القيم الأبوية /المسيحية إنّما فعل ذلك ليعلي من شأن قيم (الإنسان الأعلى) الذي بشّر به، وهي قيم ذكورية بامتياز، وتظلّ النساء ذوات قيم دنيا أسماها نيتشه "قيم العبيد".

–**إعادة تقويمه الجسد:** كان العقل هو مجال اهتمام واحترام المفكّرين على امتداد التاريخ الفلسفي، ولكنّ نيتشه قلّل من شأنه وعمل على استعادة العناصر اللاعقلانية وعلى رأسها الغريزة والعواطف والجسد وكان ذلك –على الأقلّ في نظر انصار النسوية – بمثابة استعادة وإعادة اعتبار للقيم الأنثوية التي جرى تهميشها وتحقيرها على مرّ التاريخ من قبل رجال الدّين والفلاسفة على حدّ سواء على خلاف نيتشه الذي لم يبحث أبدا عن الحقيقة الموضوعية أو العقل الخاص لذا لم يتوان "في كتابه(جينالوجيا الأخلاق) عن انتقاد القيم التي أعطت الأولويّة للعقل على الجسد ممّا سبّب للجنس البشري الإحساس بالذنب

[2] عطيات ابو السعود: نيتشه والنزعة الأنثوية، ضمن كتاب (نيتشه وجذور ما بعد الحداثة) تحرير أحمد عبد الحليم عطيّة، دار الفارابي، ط1 لبنان، 2010 ص 97.

والمعاناة،وتولّد عنه الشعور بالضغينة، كما تحدّى التراتبية التقليدية بين العقل واللاعقل، الطبيعة والثقافة، الحقيقة والخيال التي تسبّبت في رأي أصحاب النزعة الأنثوية في استبعاد النساء من تاريخ الفلسفة لارتباط المرأة التاريخي بالجسد واللاعقل والطبيعة"[3] .

وفي هذا الصدد لم تستفد النسويات من نيتشه في فكرة "إعلاء شأن الجسد" فحسب، بل في تحطيمه فكرة الثنائيات الضدّية والتي ستكون مرتكزا محوريا في فكر التفكيكية و ما بعد الحداثة التي تعدّ النسوية إحدى أشكالها التنظيرية.

-**النزعة المنظورية**: وتعني —في أبسط تعريفاتها- طرح الفكرة من زوايا نظر مختلفة، تروّج أعمال نيتشه لهذه النزعة لإيمانه بانعدام الحقيقة المطلقة والرأي الأحادي —وهذه أيضا إحدى قناعات ما بعد الحداثة- وقد "ساعدت هذه النزعة[المنظورية] أصحاب النزعة الأنثوية في تحليلاتهم، وذلك عندما رأوا أنّ الفلسفة ليس بإمكانها إنصاف التجربة الإنسانية إلا إذا أخذت في عين الاعتبار الفروق المختلفة بين منظور وآخر (..) وقد قدّمت هذه النزعة الأساس الصالح للتحليلات الأنثوية للفروق المنظورية المختلفة القائمة على اختلاف النوع/الجندر"[4] .

-إنكاره النمطية وتأكيده على التغيير: ولعلّ هذه القناعة هي ما جعلت نيتشه الأب الروحي لـ(ما بعد الحداثة) التي ترفض المطلق والعقل والحقيقة والأصل والنموذج وتؤمن في المقابل بالنسبي واللايقين واللاحقيقي ولعلّ هذا بالضبط أكثر ما يخدم النزعة النسوية التي تشبّثت بإيمان نيتشه بوجود خصائص اختلافية بين الرجل والمرأة، وبإمكانية تجاوز الفرد الأدوار النمطية الموكلة إليه من قبل المجتمع ،وتغيير الوظائف النوعية التي قسّمها العرف بين الجنسين "فافتراض أنّ التغيير يحدث في هذه المستويات وأنّ الأفراد ينبغي أن يكونوا غير محدّدين بنماذج مكرّرة اجتماعيا يجعل نيتشه "النوع"(Gender) مشكلة أو موضع إشكال، ربّما لم يكن "النوع/الجندر من اهتماماته الرئيسية بل ربّما لم يكن موضوعا يدعّم اهتماماته، ومع ذلك كان نيتشه في كتابه (العلم المرح) رائدا في نظرية النوع"[5]

وستتبنّى النسوية هذه البذرة النيتشوية لتجعل منها إحدى مقولاتها المحورية حيث تفرّق بين (الجنسSex) وهو معطى بيولوجي ثابت يفرّق شكليا بين الجنسين، و(النوع/الجندر) وهو مكتسب ثقافي واجتماعي

---

[3] عطيات ابو السعود: نيتشه والنزعة الأنثوية،ص98

[4] عطيات ابو السعود: نيتشه والنزعة الأنثوية،ص 104 .

[5] عطيات ابو السعود: نيتشه والنزعة الأنثوية،ص 104

يفرّق بين الجنسين، وقد عبّرت عنه دي بوفوار بمقولتها الشهيرة "لم تولد الواحدة منّا امرأة ولكنّها تصبح امرأة" وتعني بـ"امرأة "الثانية قضيّة الجندر أي أنّ المجتمع هو الذي يحدّد وظائفها وإمكانياتها وأدوارها متحجّجا بأنّها (امرأة) (أي طبيعة تكوينها البيولوجي/ الجنس، وبعبارة أخرى "قدّمت دي بوفوار نقدا للفكر الغربي الذي تعيب عليه حتميته البيولوجية، ففي رأيها أنّ مسؤولية العناصر البيولوجية في اختلاف النوع ليست سوى مسؤولية غير مباشرة أمّا المسؤولية الأساسية فترجع إلى الثقافة وبرنامجها الإيديولوجي" [6] وقبل أن نغادر نيتشه نعيد نقطة نراها في غاية الأهمّية وهي أنّ نيتشه لم يكن مرجعا للنسوية من خلال بعض المقولات المتناثرة هنا وهناك في ثنايا كتبه فحسب، ولكنّه كان مرجعا من خلال كونه الأب الروحي لـ(ما بعد الحداثة) التي نسفت مقولات "الحقيقة" و"المطلق"و "الثابت" و"الثنائيات الضدّية" ويستبدلها بـ"اللامطلق" و"اللاثابت" و"اللا حقيقة" و"اللاأصل"و هي قيم تخدم النسوية كثيرا.

المرجعية الماركسية:

تُعنَى الماركسية في العادة بالصراع الطبقي وليس بالصراع الجنسي، ومع ذلك فقد وجدت النسوية في بعض مقولات فريديرك إنجلز أرضية معرفية لتوضيح أسباب قهر المرأة واحتقار شأنها، ففي كتابه"أصل العائلة والملكية الخاصّة والدولة" يشرّح إنجلز أسباب تهميش المرأة اقتصاديا إذ يعترف أوّل الأمر بوجود نظام أسري سابق للنظام البطريركي ونعني النظام الأمومي حيث يُنسَب الأولاد للأمّ، ولم يكن هذا الامتياز الوحيد الذي تحظى به المرأة،فقد كانت تتمتّع بمزايا الملكية العامة حيث تتساوى الحقوق والمكتسبات بين الجنسين ولم تتراجع مكانة المرأة إلا بظهور الملكية الفردية حيث عدّت جزءا من متاع الرجل شأنها شأن عبيده وأغراضه وما زاد الأمر تعقيدا هو سوء توزيع الأعمال بين الجنسين حيث عدّ عمل الرجل منتجا وبالتالي يستحق الأجر أمّا المرأة فأوكلت إليها رعاية الأولاد وإعداد الطعام وباقي الأعمال المنزلية، وهي أعمال غير منتجة –حسب التصوّر البطريركي– وبالتالي لا تستحق الأجر، وأضف إلي ذلك فرض الزواج الأحادي كشكل جديد للأسرة وانتقال هذه القيم إلى الأبناء،وبعبارة أخرى يرى إنجلز "أنّ الأسرة البورجوازية تقوم على ركيزة مادّية هي عدم المساواة بين الزوج والزوجة، وأنّ الزوجة في الأسرة هي كالعاهرة التي لا تتقاضى

[6]كريستا نلووف: تاريخ النقد النسوي، ترجمة فاتن مرسي، موسوعة كامبريدج في النقد الأدبي والفلسفي، م 9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، مصر،ص 306

أجرا، وأنّها تنجب الورثة الذين ستؤول إليهم الملكية ولا تحصل على شيء في مقابل ذلك سوى المأكل والمشرب والمأوى ..[7]

وقد تبنّت النسويات –خاصّة النسويات الماركسيات –هذا الطرح الإيديولوجي إذ وجدت فيه إجابة مقنعة لدواعي تهميش المرأة، وبناء عليه سطّرت برامجها وأجنداتها ومطالبها، ومنها ضرورة أن تتقاضى المرأة أجر تربية الأطفال ورعاية البيت لأنّ عملها لا يقلّ إنتاجية على عمل الرّجل، كما طالبت بـ"حرّية الإنجاب، والمسؤولية الوالدية المشتركة، وتطوير مختلف أشكال المشاركة بالإنتاج الاجتماعي، وتقويم العمل المنزلي اقتصاديا، والانتباه إلى الخصوصية المعرفية النسائية، وإعادة كتابة التاريخ وتقييم مساهمة النساء في صنع الحضارة"[8].

وطالبت أخريات بحلّ المشكلة من جذورها وذلك بإلغاء "الأسرة" لأنّها شكل قمعي رأسمالي وأبوي في آن واحد "فقد خلصت العديد من الدراسات الاشتراكية حول موضوع قمع النساء إلى نفس النتيجة التي ترى أنّ وظيفة الأسرة هي إعادة نظرة الإيديولوجيا الرأسمالية للنوع/ الجندر"[9] .

وقد ربطت معظم النسويات الماركسيات بين القمع الأبوي والقمع الرأسمالي، فقد ذهبت الناقدة النسوية أوليف شراينر إلى أنّ "علاقة النوع والطبقة من ناحية والنظام الأبوي والرأسمالي من ناحية أخرى هي علاقة متلاحمة من حيث كونها أنظمة قمعية ، وعلى هذا كانت محاولات لتأكيد دور النساء داخل النظام الرأسمالي الذي عمل على التقليل من إسهاماتهنّ في الاقتصاد القومي، وذلك برفض إعطاء قيمة لعملهنّ في تلك المجتمعات"[10].

وعليه كانت حملة النسوية الماركسية على نظيرتها الليبراليات لاذعة، إذ اعتقد هذه الأخيرة بإمكانية تحقيق مطالب النساء في المساواة داخل الإطار الرأسمالي، ولكنّها عجزت عن ذلك عجزا شديدا لأنّها حسب النسوية الماركسية "لا تركّز إلا على الجوانب السطحية للتحيّز للرجل، وأنّها لا تفعل شيئا لتفكيك التراكيب الإيديولوجية العميقة التي تَخضع النساء للرجال"[11].

---

[7] أحمد عمرو: النسوية من الراديكالية إلى الإسلامية،قراءة في المنطلقات الفكرية www.albayan.co.uk/Files/articleimages/.../2-5-8.pd

[8]أحمد عمرو: النسوية من الراديكالية إلى الإسلامية،قراءة في المنطلقات الفكرية،140.

[9] كريستا نلووف: تاريخ النقد النسوي، ،ص 318

[10]كريستا نلووف: تاريخ النقد النسوي،ص 318

[11]أحمد عمرو: النسوية من الراديكالية إلى الإسلامية،قراءة في المنطلقات الفكرية،ص 144

المرجعية النفسية:

استفادت النسوية من مقولات التحليل النفسي خاصة الفرويدية واللاكانية (نسبة إلى جاك لاكان) وإن تمّ ذلك بدرجة متفاوتة بين النسويات المختلفة المشارب والاتجاهات، خاصّة بالنسبة إلى مقولات فرويد حيث كانت خطابات ذكورية بامتياز، فقد روّج فرويد لفكرة أنّ المرأة تستشعر نقصا بيولوجيا فظيعا يهزّ كيانها وثقتها بنفسها حيث تستشعر بنقص ما يمتلكه الرجل بل وتحسده على ما يمتلكه هو وتفتقده هي. انعكس هذا الشعور بالنقص —حسب تصوّر فرويد– على عقلية المرأة وإدراكها ووعيها، لذا كانت العقلانية والحكمة والرزانة ميزة الرجل وخُصَّت المرأة باللاعقلانية والتهوّر والطيش بل وبالجنون، ولكن بعض النسويات جعلن من هذه الأطروحات نقاطا إيجابية تحسب للمرأة لا عليها، ومن هؤلاء جوليا كريستيفا التي عملت مع أخريات على إيجاد لغة تمثّل المرأة وحاجياتها النفسية أحسن تمثيل، ووجدن ضالّتهن في "لغة اللاعقلانية كوسيلة لتقويض قوّة المنطق [التي اعتبرت خاصّة بالرجال] من هنا كان الاحتفاء بالهيستيريا بوصفها لغة أنثوية خاصّة تتعدّى حدود العقلانية(...) ومن منظور كريستيفا، تصبح اللغة الفوضوية بأنساقها اللاعقلانية وتداعياتها، اللغة المضادّة للأساليب الأدبية والأنساق العقلانية الفلسفية التي ساهمت في تدنّي وضع المرأة"[12].

رأت كريستيفا وأخريات أنّ هذه اللغة الهذيانية مليئة بطاقات إبداعية وتخييلية أعظم ممّا تتمتّع به لغة الرجال العقلانية، ولكن هذا التصوّر لم يلق استحسانا لدى كلّ النسويات اللائي رأينه نكوصا وخيانة لنضالهنّ المرير لإثبات عقلانية المرأة.

تدلّ هذه المواقف المتناقضة على تخبّط في الرؤية لدى النسويات، فقد وجدت النساء أنفسهنّ مخيّرات بين قبول الأسس التي قامت على تفوّق أُعطِي لما اعتبر ذكوريا، وبالتالي محاولة التماثل مع هذا الذكوري للوصول إلى مرتبة الإنسان أو أن يتمسّكن بصفات اختلافية ولكن دون أن يكنّ قادرات على الخروج من النظام الذي فرضها، وبعبارة أخرى ففكرة هيمنة العقلانية الذكورية تضع النساء أمام خيارين: فإمّا أن يتحدّثن كرجال ويخرجن من جلودهنّ، ويتنكّرن لأنوثتهنّ أو أن يتحدّثن كنساء ويوصفن باللاعقلانية"[13]

---

[12] كريستا نلووف: تاريخ النقد النسوي،ص 312.

[13] أميرة سلمى: إشكاليات النقد النسوي، *ar.bisan.org/.../**problematic**s_of_**feminist_criticism**.pd*

أمّا مقولات لاكان فكانت اكثر جدلا بسبب تعدّد تأويلاتها بين النسويات، يرى قسم منهن أنّ لديه توصيفًا حادّ النظرة للنظام الأبوي البطريركي، وأسلوبًا لتحدّي المفاهيم المتحجّرة عن الهوية الجنسانية (مثلاً Mitchell ,Rose)لكنّ أخريات يرينَ في مفهوم النظام الرمزيّ ضمانة لاستمرار البطريركية الأبوية على حالها، كمعطى عابر للتاريخ، كما أنّ الموقع المفضل الذي يمنحه للفالوس ما هو إلا تكرار لكُره النساء(Misogyny) ، المزعومة لدى فرويد (مثلاً؛.(Gallop 1982,Grosz 1990)[14]

المرجعية النقدية:

استفادت النسوية أيضا من مقولات النقد الأدبي خاصّة في مناهجه السياقية (التاريخية،والنفسية والاجتماعية) التي تنفتح بدورها على العلوم الإنسانية ممّا يجعلها مرجعيات غير مباشرة للفكر النسوي الذي وجد ضالّته في النقد الأدبي وهو يبحث عن جواب لسؤال إشكالي هو "هل هناك خصوصيات فنّية وإبداعية ولغويّة في كتابات المرأة تميّزها عن كتابات الرّجل؟ بمعنى هل نستطيع أن نتحدّث عن كتابة نسويّة في مقابل كتابة ذكورية؟

وللإجابة على هذا الإشكال اخترعت الناشطة النسوية إلين شوولتر مصطلح النقد النسوي (Gynocriticism) وتعرّفه بأنّه "دراسة النساء بوصفهنّ (كاتبات) وتتمحور موضوعاته حول تاريخ الكتابة النسائية ، وموضوعاتها وأجناسها الأدبية، وبنى نصوصها، ومن ناحية أخرى يهتمّ هذا النقد بالآليات الفنّية التي يعتمد عليها الإبداع النسائي، والمسار الفردي أو الجماعي للكاتبات، وما أحرزنه من نجاح وأخيرا القوانين والتطوّرات التي تطرأ على التراث الأدبي النسائي"[15] يشتغل النقد النسوي على ثلاث محاور هي:

محور التاريخ الأدبي: ويُعنَى بتطوّر أجناس وموضوعات الكتابة النسوية.والسيرة الذاتية للكاتباتن وأسباب انتعاش أو خمود الحركة الإبداعية النسوية في مرحلة تاريخية معيّنة، ومدى تلقّي الجمهور وتجاوبه سلبا أو إيجابا مع المنجز الإبداعي النسوي.

محور النقد الفنّي: ويعنى الخصائص الإبداعية والفنّية والموضوعاتية التي تميّز الكتابة النسوية بحثا عن المختلف عن كتابة الرّجل.

---

[14]هشام روحانا: المرأة من وجهة نظر التحليل النفسي للاكان،http://www.qadita.net/2013/03/10/hisham-lacan/

[15]كريستا نلووف: تاريخ النقد النسوي،ص 311 - 312.

محور نظرية الأدب: ويركّز على القوانين والآليات النصّية والسياقية التي تتحكّم في التراث الأدبي النسائي.
وكانت أطروحات النقد النسوي مثار جدل بين النقاد حتى داخل الحركة النسوية ذاتها وخاصّة ما تعلّق بإشكاليته المحورية، ونعني وجود كتابة نسوية في مقابل كتابة ذكورية، إذ انشطر النقاد إلى مؤيد ومعارض ولكلّ حججه وبراهينه، وسنعرضها كما يلي:

أنصار وجود كتابة نسوية:

يعتمد هؤلاء الأنصار في حماسهم لفكرة وجود "كتابة نسوية" على ما تزخر به كتابة المبدعات من خصائص اختلافية على مستوى الشكل والمضمون، وأولى تلك الخصائص عناية الكتابة النسوية بالجسد الأنثوي عناية كبرى "الأمر الذي يفرض حديثا عن الجسد الأنثوي باعتباره مصدرا هامّا للكتابة الأنثوية، فوعي الجسد يعني بالضرورة وعي للذات الأنثوية"[16] ويقتضي الحديث عن هذا الجسد الحديث عن الأنا الأنثوية، فالمرأة أقدر من الآخر الذكوري في نقل تجربتها الأنثوية إبداعيا، وهي تنطلق من جسدها لأنّها ادرى به ، وتحدّيا لرؤية الرجل له رؤية شبقية، واحتقارية.

ويقتضي هذا المضمون الأنثوي لغة أنثوية خاصّة لها سمات أسلوبية معينة وهي كما تحدّدها نورمان ميلر وماري إلمان في "الجرأة والسخرية ومزيج من التهوّر والطيش والحكمة وبعد النظر"[17] ولا يبتعد هذا الكلام عمّا ذكرته جوليا كريتسيفا عن خصوصية لغة المرأة مستنيرة بمقولات فرويد، فالنقد النسوي يعتقد أنّ كتابة الرجل أميل إلى الترميز والتلميح ، وتفسير ذلك من منظور التحليل النفسي كما يتصوّر النقد النسوي هو أنّ " الرّجل الكاتب يرفض الأمّ (النّص)، فيلجأ في كتابته إلى الرمز ذلك أنّ اللغة تبنى من خلال موت أو غياب الأمّ، وهو حين يكتب يسعى للبديل الذي يشمل تحويل السلطة الأمومية إلى شيء يمكن أن يتحكّم فيه بشكل اكبر أمّا بالنسبة إلى المرأة الكاتبة فعندما تدخل في عالم اللغة تظلّ في تعاملها مع النّص الابنة التي ستكون هي نفسها أمّا ، فهي أقلّ خوفا من التوحّد مع الأمّ ممّا يكون عليه الابن، ولهذا ستكون في النهاية قادرة على لغتين: اللغة الأمومية الحرفية التي فقدها الابن، واللغة المجازية الخاصّة بالنظام الأبوي"[18]

---

[16] الخطاب النسائي في النقد والأدب ،ص 04
https://www.uop.edu.jo/download/Research/members/42_440_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3.pdf

[17] الخطاب النسائي في النقد والأدب ،ص 04

[18] الخطاب النسائي في النقد،ص 06

ورغم طرافة هذا الطرح إلا أنّ لم يلق تقبّلا لدى كلّ النقاد بل لم يتبنّاه سوى النسويات الفرنسيات واعترضت عليه النسويات الأمريكيات وسأطلق منهنّ لعرض الرافضين لفكرة وجود "الكتابة النسوية.

رافضو وجود "الكتابة النسوية":

ترى النسويات الأمريكيات أنّ اختزال اهتمامات الكتابة النسوية في الجسد الأنثوي ذو آثار سلبية إذ سيعزل المرأة مبدعا أكثر من قبل كما سيأطّر التجربة الجنسية لديها ، كما أنّ موضوع الجسد الأنثوي حسّاس ومربك في الكثير من الثقافات والتقاليد الأدبية ممّا يصعّب تعميمه كقيمة عالمية لذا لا بدّ أن "يؤخذ بعين الاعتبار موقف المرأة نفسها من الجنس، وفي ذلك رفض صريح من النسوية الأمريكية لإمكانية أن يفرض صوت شهواني وحيد نفسه في التعبير عن كلّ نساء العالم"[19]

ولم يكن رفض "الكتابة النسوية" مبنيا على أساس موضوعاتي فحسب بل تعدّاه إلى أمكانية وجود لغة إبداعية نسويّة إذ أبدى الكثير من النسويات عدم اقتناعهنّ بهذا الأمر، ومن هؤلاء هيلين سيكيوس (Helene Cixious) التي ترى أنّ الاعتراف بوجود لغة نسوية سيزيد من عزل المرأة وتهميشها إبداعيا على أساس أنّها تغرّد خارج السرب الإبداعي.

وإذا كانت هيلين سيكيوس ترفض وجود الكتابة النسوية خوفا من العواقب المترتّبة عن ترسيخ هذا المفهوم فإنّ شوليت فيرستون ترفض أيّ شيء يفرّق بين المرأة والرّجل لأنّ التفرقة والتمييز هي شكل من أشكال القمع والإقصاء أوّل ضحاياه هي المرأة بطبيعة الحال، وتتخذ ماري إيجلتون موقف متردّدا حيث تجد أنّ الكثير ممّا كتبته النساء بعيدا عن خصائص الأدب النسوي و لا يتعدّى كونه "مجرّد فانتازيا تركّز على بطلة محاطة بأوهام عاطفية قريبة من صورة البطلة السينمائية علما أنّ المرأة البطلة —حسب إيجلتون- ساهمت في إيجاد المرأة الكاتبة في الحقل الروائي"[20]

نلاحظ أنّ النسوية لا تتعامل مع أطروحات السرديات خاصّة التي تتجاهل وجود المؤلّف وتركّز على بنى النّص الداخلية، في حين يتعامل النقد النسوي بجدّية بالغة مع المؤلّف أو بالأحرى المؤلّفة فيبحث في سيرتها الذاتية وظروفها الاجتماعية علّها تساعد في إثبات أنثوية النص ووجود شيء اسمه "الأدب النسوي" إذ ترى لانسر "أنّ السّرديات لا تلائم نصوص المرأة، وهي أيضا لا تلائم نصوص الرّجل، وتذكّر بما قاله

[19] الخطاب النسائي في النقد،ص 07

[20] الخطاب النسائي في النقد،ص 05

تيري إيجلتون في وصفه للسرديات بأنّها تقتل الشخص من أجل أن تدرس الدورة الدموية عنده[21]، وقريبا من هذا الطرح يوضّح اسباب نفور النقد النسوي من النقد الشكلاني، فالنقد النسوي"يهتمّ بالوظيفة الاجتماعية للغة والإحالة إلى متكلّم يستعمل اللغة، ويوظّف أدواتها بطرق متنوّعة لتحقيق مقاصده، أمّا النقد الشكلاني فيهتمّ بنظام يعمل على تعريف طبيعة اللغة وبنائها من خلال اللسانيات، وعلاقة الكلام في داخل النص الذي ينغلق ولا ينفتح على واقعه"[22]

عموما كانت هذه بعض مرجعيات الحركة النسوية، ولا يزال الموضوع مفتوحا على مرجعيات أخرى تستحقّ الوقوف عندها في ورقة أخرى..

[21] فاطمة بيت فيصل العتيبي: السرديات النسوية: دراسات تطبيقية على روايات رجاء عالم، رسالة ماجستير (مخطوط) جامعة الملك سعود، الرياض، ص16

[22]فاطمة بيت فيصل العتيبي: السرديات النسوية: دراسات تطبيقية على روايات رجاء عالم،ص17.